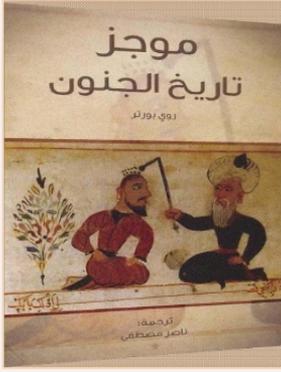


موجز تاريخ الجنون



إعداد: روي بورتير

ترجمة: ناصر مصطفى

تلخيص: أ. م. د. سند هلمد حيدر

أستاذ علم النفس الطبي المساعد/ قسم العلوم السلوكية- كلية الطب والعلوم الصحية/ جامعة عدن- اليمن

تحرير: أ.د. معن عبد الباربي قاسم صالح

أستاذ علم النفس السريري (العيادي) المشارك- قسم الطب النفسي، كلية الطب، جامعة الامام عبد الرحمن بن فيصل

maansaleh62@yahoo.com

الكتاب خير جليس

الكتاب خير جليس ، ومتابعة الجديدي في حقل الاختصاص هو محور الاهتمام وتأكيدي للتحديث المعلوماتي .
في هذا الحيز الأسبوعي سنحرص لتكون لنا وقفة مع واحدة من الكتب المرجعية
السيكولوجية (النفسية) في موضوعاتها وبشكل وجيز بقصد تحفيز روح البحث والمتابعة عند زملاء الاختصاص
والمهتمين من القراء بالعلوم السلوكية

هذا الكتاب من إعداد روي بورتير، وهو مؤرخ بريطاني مرموق، عرف بإنتاجه الغزير في تاريخ الطب. عمل محاضرا في جامعة كامبريدج حيث درس التاريخ الأوروبي. كما حاضر في معهد "ولكم" لتاريخ الطب. وأصبح أستاذ التاريخ الاجتماعي، فضلا عن تقلده إدارة المعهد حينما من الزمن. وقد أنتج بورتير زهاء المئة كتاب تأليفاً وتحريراً، وأهمها كتاب (تاريخ الطب).

ترجم الكتاب إلى العربية ناصر مصطفى، وهو مترجم أردني له العديد من المقالات والدراسات المترجمة في الصحف والمجلات العربية التي تعنى بالعلوم الإنسانية. وقد ترجم كتاب "التصورات الجنسية عن الشرق الأوسط" لمؤلفه ديريك هوبود، وكتاب "الاستشراق في عصر التفكك الاستعماري" لمؤلفه على بهداد. وكتاب "إدوارد سعيد وكتابه التاريخ" لمؤلفه شيلي وليا.

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب من هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، عام 2012، عدد صفحات الكتاب 258 صفحة. أحتوى الكتاب في منته على الفصول التالية:

الفصل الأول: المقدمة.

الفصل الثاني: الآلهة والشياطين.

الفصل الثالث: عقلنة الجنون.

الفصل الرابع: الحمقى والحمق.

الفصل الخامس: حجز المجانين في أماكن مغلقة.

هذا الكتاب من إعداد روي بورتير، وهو مؤرخ بريطاني مرموق، عرف بإنتاجه الغزير في تاريخ الطب. عمل محاضرا في جامعة كامبريدج حيث درس التاريخ الأوروبي. كما حاضر في معهد "ولكم" لتاريخ الطب. وأصبح أستاذ التاريخ الاجتماعي، فضلا عن تقلده إدارة المعهد حينما من الزمن. وقد أنتج بورتير زهاء المئة كتاب تأليفاً وتحريراً، وأهمها كتاب (تاريخ الطب).

ترجم الكتاب إلى العربية ناصر مصطفى، وهو مترجم أردني له العديد من المقالات والدراسات المترجمة في الصحف والمجلات العربية التي تعنى بالعلوم الإنسانية

الفصل السادس: ظهور الطب العقلي.

الفصل السابع: المجنون.

الفصل الثامن: قرن التحليل النفسي.

الخاتمة.

لمحة عامة عن الكتاب

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا. ويتتبع المؤلف تأثير هذه الأفكار التي ظلت حاضرة في الغرب حتى القرن الثامن عشر. ثم يتناول مولد العلوم الطبية مثلما طورها فلاسفة الاغريق وأطباؤهم. كما يتولى بالدرس معاني الجنون ودوافعه الثقافية التي مثلت مادة ترقيمت منها الفنون والآداب. ولا يفوت المؤرخ البريطاني أن يمتحن الدوافع التي قادت إلى مأسسة الجنون. وقد بلغت ذروتها أواسط القرن العشرين. حين احتجز نصف مليون مريض في الولايات المتحدة ونحو المئة والخمسين ألفا في المملكة المتحدة داخل المصحات.

وعقد المؤلف فصلا أخيرا كرسه للحديث عن الطب العقلي الذي دعي القرن العشرين باسمه. مسلطا الضوء على تطوراته التي مثلها صعود التحليل النفسي وسقوطه. فضلا عن تناوله ابتكاراته الرئيسية في العلاجات الدوائية.

ويختتم المؤرخ البريطاني كل ذلك بتقييم موجز لموقع الطب العقلي علميا وعلاجيا. مع إطلالة القرن الواحد والعشرين، متسائلا إن كان التاريخ المتنوع للطب العقلي يخبر عن أي قيمة لهذا المشروع.

الفصل الأول: المقدمة ص 7-15

يشير المؤلف في مقدمة كتابه أن بولونيوس بحكمته وفطنته تسأل: أليس تعريف الجنون الجنون بذاته؟ وأنكر توماس زاز، أستاذ الطب العقلي في جامعة سيراكيوز (نيويورك)، في كتابيه، أسطورة المرض العقلي (1961)، وصناعة الجنون (1970)، وجود "المرض العقلي". فلم يكن هذا الأخير، كما يقول زاز، حقيقة من حقائق الطبيعة، بل أسطورة من صنع الانسان. ويضيف زاز مفصلا: ((يعرف الطب العقلي، عادة، بوصفه اختصاصا طبيا يعنى بتشخيص الامراض العقلية وعلاجها. أما أنا فأؤكد أن هذا التعريف، الذي ما زال قائما، ومقبولا بصورة كبيرة، يلحق الطب العقلي بمبثي الكيمياء القديمة، والنتجيم. ويعينه، بذلك، علما زائفا، والسبب وراء ذلك واضح وجلي، إذ لا وجود لما يمكن أن يسمى "المرض العقلي".

ليس الطب العقلي، وفقا ل "زاز" الذي اعتنق هذه الآراء طوال العقود الأربعة الماضية، مرضا حدد العلم طبيعته وبيئتها، بل هو أسطورة لفقهاء الأطباء العقلين بغرض الحصول على التقدم المهني. كما تبناها المجتمع، لما تتيحه من حلول سهلة في التعامل مع من خرج على اعرافه.

فقد أنخرط الأطباء ومن شابعهم على مدى قرون عديدة، كما يدعي زاز، في عملية نفعية "لصناعة

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

يستقصي المؤرخ البريطاني روي بورتر (1946-2002) الكيفية التي قاربت بها الثقافة الغربية الجنون وعالجته. ويبدأ الكتاب بعرض مفهوم الجنون كما ساد في العصر السابق على الكتابة. وذلك حين نظر إلى الجنون بوصفه تلبسا شيطانيا أو إلهاما سماويا

على مدى قرون عديدة، كما يدعي زاز، في عملية نفعية "الصناعة الجنون"، وذلك بإلصاق التصنيفات الطبعية بأناس مخصوصين، فهؤلاء الأخيرين أوبئة اجتماعية، وشواذ ومشاكسون خطرون

لم يكن المشتغلون في الطب العقلي الوضعي، في حمى هذا الهوس التصنيفي والوصمي، أقل انخراطا في هذا الحمى من فرويد ومريديه الذين نفخوا، باختراعهم مفهوم اللاوعي، حياة جديدة، تبعا ل "زاز" في ميتافيزقيات العقل البائدة ولاهوتيات الروح

ظهر كتابه "الجنون والحضارة"، عام 1961م لمؤلفه الباريسي ميشيل فوكو، مؤرخ الفكر المعروف. إذ ذهب الأخير إلى أن الجنون ليس حقيقة طبيعية، بل بناء ثقافي كرسته شبكة من الممارسات الطبية والطبعية والإدارية

قدم مارتين روشا، أستاذ الطب العقلي في جامعة كامبريدج، وجيروم كروول في كتابهما "حقيقة المرض العقلي"، طرحا مؤداه أن دوام الاعراض الطبعية على مر الزمان يظهر أن المرض العقلي ليس يافطة تصنيفية، أو أداة لإلقاء اللوم على الآخرين وتجريمهم، وإنما هو هوية سيكولوجية مرضية حقيقية ذات أساس عضوي

تبدى الجنون، في الاساطير الدينية المبكرة والحكايات

الجنون"، وذلك بإلصاق التصنيفات الطبعية بأناس مخصوصين، فهؤلاء الأخيرين أوبئة اجتماعية، وشواذ ومشاكسون خطرون. ولم يكن المشتغلون في الطب العقلي الوضعي، في حمى هذا الهوس التصنيفي والوصمي، أقل انخراطا في هذا الحمى من فرويد ومريديه الذين نفخوا، باختراعهم مفهوم اللاوعي، حياة جديدة، تبعا ل "زاز" في ميتافيزقيات العقل البائدة ولاهوتيات الروح.

ولم يكن زاز وحيدا في هذا الاتجاه، فقد ظهر كتاب "الجنون والحضارة"، عام 1961م لمؤلفه الباريسي ميشيل فوكو، مؤرخ الفكر المعروف. إذ ذهب الأخير إلى أن الجنون ليس حقيقة طبيعية، بل بناء ثقافي كرسته شبكة من الممارسات الطبية والطبعية والإدارية. وعليه، فإن كتابة دقيقة لتاريخ الجنون لن تكون رواية حول مرض ما وعلاجه، وإنما مجموعة من الأسئلة حول الحرية والتحكم، والمعرفة والسلطة.

وقد قلبت الصيغ المثيرة التي صدر عنها كل من فوكو وزاز، التاريخ التقدمي التقليدي للطب العقلي رأسا على عقب، وصيرت ابطاله أوغادا، بيد أنها جوبهت بردود قوية. إذ قدم مارتين روشا، أستاذ الطب العقلي في جامعة كامبريدج، وجيروم كروول في كتابهما "حقيقة المرض العقلي"، طرحا مؤداه أن دوام الاعراض الطبعية على مر الزمان يظهر أن المرض العقلي ليس يافطة تصنيفية، أو أداة لإلقاء اللوم على الآخرين وتجريمهم، وإنما هو هوية سيكولوجية مرضية حقيقية ذات أساس عضوي.

الفصل الثاني: الآلهة والشياطين ص 19 - 43

تبدى الجنون، في الاساطير الدينية المبكرة والحكايات الخرافية، بوصفه قدرا أو عقابا. وجاء في سفر التثنية: ((لقد كتب، أن الله سوف يبتليك بالجنون؟)). ويخبر العهد القديم عن العديد ممن تلبسهم الشيطان، ويروي كيف أنزل الله عقابه بنبوخذ نصر، وذلك حين مسخه إلى حالة من الجنون البهيمي. أما مجنون هومر، أجاكس، فقد دأب على نحر الخراف لاعتقاده بأنها من جند الأعداء، ما يمثل إرهابا لبطل سيرفانتس، دينكخوته الذي كان يناجز طواحين الهواء. وقد تم ربط العنف، والأسى، والتعطش للدماء، والوحشية، دائما بالجنون. ولقد رمى هيرودودوت، كامبسيس ملك فارس الذي كان يسخر من الدين، بالجنون، متسائلا: من يستطيع الحط من قدر الآلهة غير المجنون؟

وقد عزيت الاضطرابات الشديدة في المزاج والكلام والسلوك، عامة إلى قوى فوق طبيعية. فلدَى الهندوسية، مثلا، شيطانة خاصة تدعى غراي ((أي الانثى التي تتلبس)) ونسب إليها التسبب في التشنجات الصرعية. أما في الهند، فقد أتهم الشيطان/ الكلب بتلبس الناس.

وأعتقد البابليون وسكان بلاد ما بين النهرين أن اضطرابات بعينها منشؤها الروح الشريرة، والسحرة، والمكر الشيطاني، والعين الشريرة أو اقتراف المحرمات. وهكذا فقد كان التلبس قدرا أو عقابا.

ويستطيع المرء أن يرصد الاتجاهات الأولى لدى الإغريق، من خلال الاساطير والملاحم. ولا تعرض هاتان الأخيرتان الحقائق كما يعرضها كل من العقل والإرادة، تبعا لذلك النمط اللاحق الذي نجده في الطب والفلسفة. كما أن أبطال هذه الاساطير والملاحم لا يمتلكون أنفسا ((psyches)) إذا قارناها، مثلا، بأوديب لدى سوفوكليس. فضلا عن الشخصيات التي نعثر عليها في أعمال شكسبير أو فرويد.

مهما يكن من أمر، فإن صورة عقلية أكثر جدة شرعت بالظهور مع إطلالة عصر أثينا الذهبي. فقد أسس التفكير الذي طوّر حول النفس البشرية، في القرنين الخامس والرابع ق.م، القواعد الأولى للاتجاه السائد في التفكير الغربي، حول العقل والجنون. ويشهد على ذلك اعتراف فرويد الضمني بهذا التراث حين استشهد بمسرحية سوفوكليس، فسّمى الصراعات السيكولوجية- الجنسية لدى الطفل عقدة أوديب، إذ تجمع الدراما اليونانية بين السمات التقليدية وتلك الأكثر جدة للعقل.

وقد جاء الطب اليوناني ليجابه المعتقدات فوق الطبيعية، التي أمت العالم القديم، حول التلبس.. تلك

المعتقدات التي رأت، كما بينا سالفاً، أن الآلهة هي المتسبب بنوبات الصرع، إذ يكون ضحية ((المرض المقدس، الصرع)) مسكوناً بالشیطان أو الروح الشريرة التي تصطرع مع جسده وروحه. وكانت تجابه هذه الاضطرابات الصحية بالصلوات، والتعوذات، والاضحيات التي تقدم في المعابد إلى إله الطب والشفاء ((إسكليبيوس)).

وفي إطار هذا العنوان العريض تناول المؤلفان فرعية من قبيل المنظور المسيحي للجنون الذي تناول فيه أن المسيحية منحت التفكير حول الجنون، بوصفه ظاهرة فوق طبيعية مشروعية وسندا لعدة قرون قادمة، خلافاً للفلسفة اليونانية، في العقل جوهر الانسان، وأقامت الاعتبار لمسألة الإثم والإرادة الإلهية والحب ولمعتقد المرء ممثلاً في المبدأ القائل: ((أنا أؤمن به لأنه لا معقول)). أما عند عنوان ضد التيار أشار المؤلف أن الطبيعة الدموية لحملة تعقب الساحرات والهرطقة أنشأت ريبة حول التلبس الشيطاني. وجاء أول تعبير طبي عن هذه الريبة في كتاب، خدع استحضر الشياطين 1563، ومؤلفه طبيب من بلدة أرفلهم في هولندا، ويدعى يوهان فير الذي حذر من أن ينسب المرض الذي يأتي نتيجة طبيعية لكبر السن أو التوحد أو التجاهل، إلى السحر. ويقر فير أن العفريت قد يؤثر في سلوك الانسان، لكننا إذا علمنا أن الرب قد حدد قدرته، فإن تأثيره قاصر على أولئك المصابين بالسوداوية، وأولئك المعرضين لاضطراب الخيال. وعند عنوان الآراء المتنورة أفاد المؤلف أن القديسين المدعون الذين هاجموا النظام العام في الكنيسة والدولة على حد سواء، قد شجبت تعاليمهم العدمية، لا انطلاقاً من الكتاب المقدس وعلمي اللاهوت والشياطين فحسب، وإنما من منطلق طبي أيضاً. فهؤلاء المتنبئون هم، حرفياً مرضى عقليون. ولم يكن الروح القدس ملهمهم، بل العدم والباطل. وقد أشر الأطباء ومشايخهم إلى القرابة التي تجمع بين الجماعة الدينية المتطرفة والمجانين. أفلا يصدر عن كلتا الطائفتين الكلام الاجوف والتشنجات، والعيول، والندب وغيرها من الاعراض المشابهة؟ وعليه فقد قرئ التعصب الديني بوصفه علامة على المرض النفسي. وقد أسرد المؤلف تحت عنوان علمنة الجنون أن جون لوك كتب ملحا على معقولية المسيحية وانه يتوجب حتى على الدين أن يكون عقلانياً. وقادت مقارنة الجنون الديني بوصفه موضوعاً مرضياً مفكري الأنوار الاحرار إلى عد التدين ذاته موضوعاً مرضياً. وفي الحقيقة، كان هذا موقف فرويد أيضاً. فتبدى الرب، تبعاً لذلك، وهما، والايان تحقيقاً لرغبة ذاتية. وما الايمان، وإن كان حقيقياً، إلا إسقاط عقلي يشبع حاجات المرء العصابية، فيجري التعبير عنها تبعاً لمصطلحات التسامي المتعلقة بالرغبة الجنسية المكبوتة أو تمنى الموت.

الفصل الثالث: عقلنة الجنون ص 47- 73

بحث المؤلف مجموعة من العناوين الملفتة التي تدلل أن فهم ودراسة الجنون أخذت مناحي عقلية وعلمية من خلال طرح بعض القضايا الجوهرية التاريخية عن التفكير العقلي حول الجنون، طبنة الجنون، النظرة الطبية المتفحصية. وفي ملخص مقتضب لكل تلك القضايا، فقد تناول أنه لما كانت الأفلاطونية والفيثاغورية والرواقية وأشباهها من المدارس الفلسفية، مرتاعة من القوى الأولية والجبارة التي تعطل عمل العقل، فإنها عرت اللاعقلاني ورأته خطراً وعاراً يتوجب على العقل أو الروح مكافحته ومغالته. أما من حيث إعطاء البعد الطبي للجنون، فقد أشار المؤلف أن نظرية الأخلاط قدمت خطاطة تفسيرية شاملة، تضبط البارامترات النموذجية ((الحرارة، والبرودة، والرطوبة، والجفاف، ... إلخ. وتشتمل، أيضاً، على الطبيعي والإنساني، والفيزيقي والسيكولوجي، والصحي والمرضي. وهي إن كانت واضحة وسائغة للإنسان العادي، فهي مؤهلة للتعمق التقني من قبل الطبيب. وعند تناول المؤلف للنظرة الطبية المتفحصية للجنون فقد أشار أن الطب اليوناني- الروماني قدم مزيجاً ما العلاجات للجنون. وكان بعضها يناقض بعضها الآخر. فقد أوصى الطبيب سورانيوس بالتحدث إلى المجنون، في حين اعتقد سيلساس

الخرافية، بوصفه قدراً أو عقاباً. وجاء في سفر التثنية: ((لقد كتبت، أن الله سوف يبتليكم بالجنون؟)). ويخبر العهد القديم عن العديد ممن تلبسهم الشيطان، ويروي كيف أنزل الله عقابه بنبوخذ نصر، وذلك حين سمعته إلى حالة من الجنون البهيمي

قد عزيت الاضطرابات الشديدة في المزاج والكلام والسلوك، خاصة إلى قوى فوق طبيعية. فلدى الهندوسية، مثلاً، شيطانة خاصة تدعى نغراي ((أي الانثى التي تتلبس)) ونسب إليها التسبب في التشنجات الصرعية. أما في الهند، فقد أتهم الشيطان/ الطبل بتلبس الناس

قد جاء الطب اليوناني ليواجه المعتقدات فوق الطبيعية، التي أممت العالم القديم، حول التلبس... تلك المعتقدات التي رأته، كما بينا سالفاً، أن الآلهة هي المتسبب بنوبات الصرع، إذ يكون ضحية ((المرض المقدس، الصرع)) مسكوناً بالشیطان أو الروح الشريرة التي تصطرع مع جسده وروحه

قادت مقارنة الجنون الديني بوصفه موضوعاً مرضياً مفكري الأنوار الاحرار إلى عد التدين ذاته موضوعاً مرضياً. وفي الحقيقة، كان هذا موقف فرويد أيضاً. فتبدى الرب، تبعاً لذلك، وهما، والايان تحقيقاً لرغبة ذاتية. وما الايمان، وإن كان حقيقياً، إلا إسقاط عقلي يشبع حاجات المرء العصابية، فيجري التعبير عنها تبعاً لمصطلحات التسامي

بالصدمة علاجاً، مقترحا عزل المريض في ظلام دامس، وإعطاؤه المليينات كي يمتلكه الرعب فيعود سليماً معافى.

مهما يكن من أمر، فقد وضعت الثنائية الديكارتية، تحدياً جسورياً ينطوي على نتائج طبية تتصل بالتفكير حول الجنون. وهي تعيد بأنه عندما كان الوعي، جوهرياً، وتعريفياً عقلانياً، أستلزم أن يكون الجنون، مثل أي مرض آخر، صادراً عن الجسد أو أن تتسبب به توصيلات خطيرة في الدماغ. وعليه، فحين أصل الجنون جسدياً، عاد من غير الممكن رده إلى أصل شيطاني، أو النظر إليه بوصفه تهديداً لسلامة الروح الخالدة وخالصها. فقد صار، بصورة بيّنة، موضوعاً فلسفياً وطبياً بامتياز.

الفصل الرابع: الحمقى والحمقى ص 77 - 106

تناول هذا الفصل عدة عناوين أبرزها ((وصمة العار، عقلاء المجانين، سلب الأحق امتياز، الجنون والعبقرية، الأعصاب)). وفي متناولته بارزة في هذا الفصل، يشير المؤلف أن اللغز أو السؤال الأصلي، وهو سؤال فرويد بالطبع طرحه في كتابه ((الحضارة وتعتسراتها))، هل العالم مجنون، وهل الحضارة ذاتها مريضة نفسياً؟ فإذا كان المجتمع المتحضر مضطرباً، فأى حق يؤهله لإطلاق الأحكام على ((المجنون))؟ وقد اشتهر عن الكاتب المسرحي في عهد الملكية، نتانيل لي، أنه قال فيما يتعلق بإيداعه مستشفى بدلام: ((وصفوني بالجنون وقلت إنهم مجانين. ولكن عليهم اللعنة، لقد تغلبوا علي بأكثرية الأصوات)). وما زال هذا الجدل دائراً وحيّاً.

الفصل الخامس: حجز المجانين في أماكن مغلقة ص 109 - 146

أختار المؤلف لإيصال القصد من عنوان هذا الفصل عدداً من العناوين الفرعية من قبيل ((ما قبل المصحة، الحجز الكبير، حاضنة الطب العقلي، المصحة في صورتها المثلى، المصحة بوصفها علاجاً ناجعاً، المصحة بوصفها مشكلة)). إجمالاً، أشار المؤلف إلى أن النزعة للمأسسة المتعلقة بالمصحات كانت العلامة المميزة للنصف الأول من القرن التاسع عشر. فقد جمعت بين مستلزمات الدولة العقلانية والوسائل النفعية لاقتصاد السوق، كما بشرت بتقاولية علاجية تقدمية في ظل نظام أبوي منحرف ومضلل، ممثلاً في الفكرة التي تقول: إن النخبة الاجتماعية والمهنية المتخصصة لها الحق، وتقع عليها المسؤولية في علاج البؤساء من الناس. وليس آخرها القول إن فكرة المصحة عكست التحول الثقافي طويل المدى من الدين إلى العلمانية العلمية. إذ إن ما أحتل أهمية في التقليد المسيحي هو التقريب بين المؤمنين والهرطقة، والقديسين والأثمين. أما التقريب بين العاقل والمجنون فلم تكن له أهمية تذكر. غير أن ذلك تغير، وغدت القسمة الكبرى، منذ عصر العقل، قائمة بين العقلاني وما سواه. وقد حدد هذا الفصل وعزز، فعلياً، عبر أسوار المصحات. فاستبدلت مفاتيح القديس بطرس بمفاتيح الطب العقلي. وعنت مأسسة المصحة نطاقاً صحياً رسم الخط الفاصل بين ((الطبيعي)) و ((المجنون))، والذي رسخ آخرته المجنون، وأوجد بيئة إدارية يمكن أن تتولى الغرابية.

الفصل السادس: ظهور الطب العقلي ص 149 - 182

ففي هذا الفصل تناول المؤلف عدة عناوينها: ((مكثنة الجنون، الانعطاف السيكولوجية، النمط الفرنسي في الطب العقلي، الطب العقلي الألماني، التنكسية، الطب العقلي والمجتمع)) حيث تناول المؤلف السردية التاريخية لظهور الطب العقلي وأهميته في دراسة الجنون منوهاً أن جون لوك أقرح أن

المتعلقة بالرغبة الجنسية المكبوتة أو تمنى الموت.

أن فهم ودراسة الجنون أخذت مذاهب عقلية وعلمية من خلال طرح بعض القضايا الجوهرية التاريخية عن التفخيز العقلي حول الجنون، طيننة الجنون، النظرة الطبية المتفحصة.

أشار المؤلف أن نظرية الأخطأ قدمته خطأ تفسيرية شاملة، تضبط البارهيترات النموذجية ((الحرارة، والبرودة، والرطوبة، والجفاف، ... إلخ. وتشتمل، أيضاً، على الطبيعي والإنساني، والفيزيقي والسيكولوجي، والصحي والمرضي

قد أوصى الطبيب سورانيوس بالتحدث إلى المجنون، في حين أعتقد سيلساس بالصدمة علاجاً، مقترحا عزل المريض في ظلام دامس، وإعطاؤه المليينات كي يمتلكه الرعب فيعود سليماً معافى.

ضعت الثنائية الديكارتية، تحدياً جسورياً ينطوي على نتائج طبية تتصل بالتفكير حول الجنون. وهي تعيد بأنه عندما كان الوعي، جوهرياً، وتعريفياً عقلانياً، أستلزم أن يكون الجنون، مثل أي مرض آخر، صادراً عن الجسد أو أن تتسبب به توصيلات خطيرة في الدماغ

حين أصل الجنون جسدياً، عاد من غير الممكن رده إلى أصل شيطاني، أو النظر إليه بوصفه تهديداً لسلامة الروح الخالدة وخالصها. فقد صار، بصورة

هل العالم مجنون، وهل الحضارة
ذاتها مريضة نفسياً؟ فإذا
كان المجتمع المتحضر مضطرباً،
فأبي حق يؤمله لإطلاق الأحكام
على ((المجنون))؟

أن النزعة للمأسسة المتعلقة
بالمصحات كانت العلامة
المميزة للنصف الأول من
القرن التاسع عشر. فقد جمعت
بين مستلزمات الدولة العقلانية
والوسائل النفعية لاقتصاد
السوق

أن جون لوك اقتترح أن المجنون
صادر عن ترابطات خاطئة في
العمليات التي تتحول عبرها
معطيات الحواس إلى
((أفكار)) وجرى طبنة
تفكير لوك جزئياً عبر جولن
الذي عمل على إنتاج أنموذج
أكثر سيكولوجية للمجنون،
وعزاه، أساساً، إلى تهيّجات
مفرطة في الأعصاب، فإنه رأى
أن السبب الذي يعجل بحدوث
المجنون، كائن في النشاط
الدماغي الحاد.

أن المضطربين لم يعبروا عن
أنفسهم لفظياً، عبر عدد لا
يحصى من السير الذاتية،
فحسب، وإنما عبروا بصرياً عبر
الرسم واللوحات الزيتية
والأعمال اليدوية

لم يلتفت الطب العقلي إلى
الرسومات والصور التي أنجزها
المجانين إلا في سبعينيات
القرن الثامن عشر. وجاء هذا
الانتباه لاعتقادهم أنها ربما
تفيد في التشخيص

المجنون صادر عن ترابطات خاطئة في العمليات التي تتحول عبرها معطيات الحواس إلى ((أفكار))
وجرت طبنة تفكير لوك جزئياً عبر جولن الذي عمل على إنتاج أنموذج أكثر سيكولوجية للمجنون، وعزاه،
أساساً، إلى تهيّجات مفرطة في الأعصاب، فإنه رأى أن السبب الذي يعجل بحدوث المجنون، كائن في
النشاط الدماغي الحاد.

ودل هذا الأنموذج الجديد للمجنون، بما هو حالة نفسية، على وجهة جديدة للطب العقلي. إذ توجب
على الطبيب، من الآن فصاعداً، أن ينكب في بحثه على نفس المريض كما تتمظهر في سلوكه، عوض
التركيز على أعضاء الجسد. وقد تطلب ما استتبع ذلك من دراسة للحالة التاريخية للمريض، التحول من
الأسلوب القديم في تقييم المجنون عقلياً، إلى البحث عن الملاحظة السيكولوجية المنهجية.

الفصل السابع: المجنون ص 185 - 210

تناول هذا الفصل عدة عناوين أبرزها ((حوار الطرشان، إشارات غائمة، الاحتجاج، الاقتران بالرب،
جعل الجنون مريئاً)). يشير المؤلف في موضع من مواضع هذا الفصل إلى أن المضطربين لم يعبروا
عن أنفسهم لفظياً، عبر عدد لا يحصى من السير الذاتية، فحسب، وإنما عبروا بصرياً عبر الرسم
واللوحات الزيتية والأعمال اليدوية. فلم يكن غريباً، قبل أن يعرف ((العلاج بالفن))، أن يسمح لنزلاء
المصحات بالرسم لأسباب إنسانية. ولم يلتفت الطب العقلي إلى الرسومات والصور التي أنجزها المجانين
إلا في سبعينيات القرن الثامن عشر. وجاء هذا الالتفات لاعتقادهم أنها ربما تفيد في التشخيص. وقد كان
سيزار لومبروسو واحداً من رواد هذا الاتجاه. فقد قام برسم تخطيط مرضي لمخيلة المجنون، مستنداً إلى
نظريات التنكسية التأسلية ((عودة صفات الأسلاف))، وكذلك إلى الدراسات الطبعية المتعلقة بالجريمة
والعرقية وانتاجات المجانين الفنية.

الفصل الثامن: فن التحليل النفسي ص 213 - 245

((العلم والطب العقلي، الديناميات السيكولوجية، فاتح اللاوعي، حركة التحليل النفسي، صدمة
الحديث، الثورة الكيميائية، الاتجاه المناوئ للطب العقلي المصحّة، إنها التجارة كما هو معهود))، تلك
أهم العناوين التي تناولها المؤلف في هذا الفصل. واللافت للانتباه ما أشار إليه المؤلف بأن تسرب
التحولات السيكو ديناميكية العامة للتفكير في الوقت المناسب، قد ساعد على ترسيخ تلك الفكرة التي
تقول: إن الاضطراب العقلي ليس مقصوراً على المجنون، وغدت تلك الفكرة مألوفة بحلول الخمسينيات،
فمن الممكن أن يعاني الناس العاديون من ((العقد)). وقد جرى القول إن الاضطرابات العصابية تجري
مجرى الدم في الناس عامة: ومن ذلك كآبة ربة المنزل، والصراعات العائلية، والإدمان على الكحول،
ومشكلات التوافق النفسي لدى المراهق، والتوترات العامة وغيرها كثير. وكانت بوادر الكآبة، واضطرابات
الأكل، والاضطرابات الجنسية بادية للعيان في كل مكان مع نهاية القرن العشرين.

الخاتمة

لم تهدف هذه الدراسة المسحية الموجزة إلى سبر الأسباب الانثروبولوجية والاجتماعية للمرض العقلي
أو الحضارة وتعسراتها. كما لم تسع إلى تبيان الوظائف الاجتماعية لكل من الجنون والطب العقلي. وهي
لم تهدف أيضاً إلى حل أي من المسائل الدقيقة المشابهة تاريخياً. وإنما ركزت، بصورة كبيرة وواقعية،
على سرد المفاهيم المتعلقة بالمرض العقلي، وطرق علاج المجانين منذ عصر الكتابة.

ولعل القول يشيع، بسبب انتشار العيادات النفسية، في تلك الأثناء، أن أعدادا أكبر تعاني، أو تدعي أنها تعاني تكاثر المتلازمات النفسية المرضية في بيئة غلبت عليها ((ثقافة الضحية))، التي يبدو أن من مزاياها الاستثمار في النظم الطبعية. إذ زاد عدد الأشخاص الذين يبتلعون الادوية أكثر من أي وقت مضى. وربما يبتلعون النظريات التي يصفها لهم الطب العقلي، فضلا عن خضوعهم للعديد من الجلسات العلاجية المختلفة، وذلك مع حلول المصطلحات السيكلوجية والطبعية، محل مصطلحات الديانة المسيحية والنزعة الإنسانية، بوصفها ((المصطلحات السيكلوجية)) وسائل في فهم الذات والاقتران وكذلك السلطات. ومع ذلك فإن ثقة الناس بمهنة الطب العقلي تؤول إلى مستويات دونية، كما يتضح في الصور المرتابة والحاضرة دائما في الفنون وتقارير الصحافة الرائجة. وينشأ عندها السؤال الذي يقول: هل يدق الجنون أجراسه بقوة مرة أخرى؟

الكتاب يستحق القراءة المتأنية والرصينة لكل المهتمين والمتخصصين في علم السلوك والطب النفسي كونه يتناول حقبة تاريخية هامة في تطور الطب العقلي وإسهاماته جاهدة العلاج النفسي وأعطى بعدا علميا وثقافيا وسردا دينيا للجنون والمجانين، ويدفع القارئ لتقبل مثل تلك المرافقات التي ظللنا كثيرا نعتقد بوقوعها النفسي السيء على صاحبها والمحيطين بما تشكله من وصمة اجتماعية للمرض النفسي..

رابط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/BR123MaanMadnessHistory.pdf>

إن الاضطراب العقلي ليس مقصورا على المجنون، وتحدد تلك الفكرة مألوفة بحلول الخمسينيات، فمن الممكن أن يعاني الناس العاديون من ((العد))

إن الاضطرابات العصبية تجري مجرى الدم في الناس عامة: ومن ذلك كآبة ربة المنزل، والصراخات العائليّة، والإدمان على الكحول، ومشكلات التوافق النفسي لدى المراهق، والتوترات العامة وغيرها كئي

"جائزة البحث العلمي على زيغور"

لشبكة العلوم النفسية العربية 2022

شروط الترشح للجائزة

www.arabpsynet.com/Prizes/Prize2022/APNprize2022.pdf

ارتباطات ذات صلة

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com/arabpsynet.php?p=2>

دليل جائزة شبكة العلوم النفسية على الفيس بوك

<https://www.facebook.com/Arabpsynet-Award-289735004761329/?ref=bookmarks>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رفيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 ل " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثاني عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 20 على الوجود

22 عاما من الضجيج... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الوجود: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBARabpsynet.pdf>